

العنوان:	العلاقات العربية الإفريقية خلال القرن 19م: المغرب والسودان الغربي نموذجاً
المصدر:	أعمال الندوة العلمية: العلاقات المغربية الإفريقية: حصيلة وآفاق
المؤلف الرئيسي:	عماري، الحسين
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2012
الناشر:	كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق
مكان انعقاد المؤتمر:	الدار البيضاء
الهيئة المسؤولة:	جامعة الحسن الثاني - كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق - مجموعة البحث حول المغرب وإفريقيا
الصفحات:	155 - 164
رقم MD:	906219
نوع المحتوى:	بحوث المؤتمرات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	المغرب، السودان الغربي، العلاقات العربية الإفريقية، العلاقات المغربية السودانية
رابط:	https://search.mandumah.com/Record/906219

العلاقات العربية الإفريقية خلال القرن 19م
(المغرب والسودان الغربي نموذجا)

الحسين عماري
كلية الآداب فاس- ظهر المهراز

مقدمة:

تسعى هذه المداخلة إلى إبراز تجربة من التجارب التاريخية التي مرت بها العلاقات العربية الإفريقية خلال القرن التاسع عشر، ألا وهي تجربة المغرب والسودان الغربي التي تمت في فترة عصيبة كانت فيها القوى الإستعمارية تعد العدة للإنقضاض على إفريقيا بصفة عامة وبلاد السودان بصفة خاصة، وقد مرت هذه التجربة عبر قنوات مختلفة، منها ما هو سياسي حيث إن "بلاد السودان " اعتبرت من طرف المغاربة كإقليم تابع للإمبراطورية الشريفة فيما وراء الصحراء ومنطقة امتداد طبيعي لنفوذها السياسي رغم الفتور الذي طبع من حين لآخر العلاقات بين الجانبين، ومنها ما هو اقتصادي من خلال الدور الفاعل الذي ظلت التجارة العابرة للصحراء تلعبه في هذه العلاقات وعلى مستويات مختلفة كقناة تمت عبرها العديد من الروابط والوشائج، بل كانت بمثابة عنصر وحدة وتكامل بين الطرفين، ساعد على انتقال المواد التجارية وبعض الأفكار والقيم والمظاهر الحضارية، أي كان وراء ظهور تراث مغربي إفريقي مشترك، لعبت فيه الزوايا كذلك دورا بالغ الأهمية ولاسيما منها الطريقتين التيجانية والمختارية الكنتية ، لذلك وفي هذا السياق تأتي هذه الورقة لتبين مدى عمق هذه الروابط والصلات التي جمعت بين الطرفين من خلال الإجابة على الإشكالية التالية :

ما مدى حضور العلاقات السياسية والتجارية والثقافية ولاسيما منها دور بعض الزوايا كالتيجانية والمختارية الكنتية في ذلك التواصل والتفاعل الحضاري الذي تم بين المغرب وبلاد السودان خلال الفترة المحددة ؟ وما هي العوامل التي ساعدت على ترسيخ تلك الروابط ؟

إذا كان الأوربيون لم يركزوا اهتمامهم على القارة الإفريقية ولم يحاولوا كشف مجاهلها إلا في أعقاب الكشوفات الجغرافية الكبرى في أواخر القرن15م وأوائل القرن 16م مقتصرين في كتاباتهم على سواحلها ومصبات أنهارها الكبرى، قبل أن تبدأ عمليات توغلهم وارتيادهم داخلها ، فإن المصنفات العربية من كتب الجغرافيين والمؤرخين، تطفح بكم هائل من المعلومات حول العلاقات العربية الإفريقية منذ القرن 9م [1]، مما يدل على عمق الروابط والتراث التاريخي المشترك بين الطرفين .

وبما أن المغرب بلد عربي مسلم احتل عبر فترات تاريخية طويلة مكانة مهمة في مجال العلاقات الدولية وأوضح دوما هويته كأرض للتلاقي والتواصل والتجانس [2]، وكمجال لتقاطع وتلاحق تيارات حضارية وأفكار ورؤى متعددة ومتنوعة، أمازيغية،

عربية، وإفريقية ...، فقد ربطته ببلاد السودان علاقات متينة ووشائج عميقة كان لها الفضل في حدوث تراكم وتفاعل حضاري بين الطرفين وفي تحديد "مجرى التاريخ المغربي" [3] الذي لايمكن فهمه إلا في إطار تاريخ إفريقيا بشكل عام [4]، وعلاقاته مع إفريقيا جنوب الصحراء بشكل خاص ، كما أن مصير السودان الغربي أصبح بدوره مرتبطا أشد الإرتباط بمصير المغرب [5]، مما جعل المؤرخ السعدي يردد أكثر من مرة في مؤلفه "تاريخ السودان" : "إن حضارة غرب إفريقيا حضارة مغربية قلبا وقالبا" [6].

وترجع الروابط التاريخية بين المغرب و إفريقيا جنوب الصحراء إلى عهد بعيد قد يصل إلى فترة ما قبل الإسلام [7]، ورغم تراجع قوة العالم العربي الإسلامي خـلال القرن التاسع عشر، وتحول مركز التأثير إلى الدول الأوربية الإستعمارية التي قسمت إفريقيا إلى مستعمرات ومناطق نفوذ فيما بينها ، فإن هذه العلاقات تميزت بالإستمرارية [8]، وتمت عبر قنوات متعددة تتداخل وتتفاعل فيما بينها، وهي : التجارة، ونشر الإسلام، والدبلوماسية والحرب، والبحث عن المعرفة، والزوايا...، لكن التجارة العابرة للصحراء كانت بمثابة المحرك والميكانيزم الحقيقي لتلك الروابط التي جمعت بين البلدين[9]، والوجه الأكثر وضوحا من أوجه تلك العلاقات إن لم نقل المنطلق الأول الذي نبعت منه وترتبت عنه باقي الروابط والوشائج الأخرى الحضارية منها والعقائدية [10]، وسنركز في هذه الورقة أساسا على العلاقات السياسية، والتجارية ، والثقافية من خلال دور بعض الزوايا التيجانية والمختارية الكنتية.

فيما يخص العلاقات السياسية، يمكن القول بأنها تعود إلى العهدين المريني والمالي وقد تميزت بالإستمرارية وتبادل السفراء والهدايا بين الجانبين، ولاسيما بين السلطان أبي الحسن المريني وكل من مانسا موسى ومانسا سليمان[11]، أما خلال العهد السعدي - ولاسيما في عهد المنصور - فإن هذه العلاقات تميزت بالتأزم، نظرا للصراع الذي احتدم بين الطرفين، والذي تحكمت فيه عوامل عديدة، اقتصادية، دينية، هاجس الخلافة...، وانتهى باستيلاء المغاربة على مملكة الصونغاي، التي أصبحت منذ ذلك الحين إقليما تابعا للسلطة المغربية ومنطقة امتداد طبيعي لنفوذها السياسي[12]، حيث تم خلق ولاية باشوية بتنبكت سهر على حكمها قواد عسكريون عرفوا بولائهم للعاهل المغربي أطلق عليهم اسم الباشوات [13]، لم يلبثوا - بعد أن كان السلطان المغربي هو الذي يعينهم ويرسلهم إلى بلاد السودان - أن أصبحوا مع بداية سنة 1612م يعينون من طرف الجيش، بل إنهم سرعان ما تقلدوا زمام أمورهم بأنفسهم، ولم تعد تجمعهم بالمغرب سوى روابط روحية ضيقة، وضريبة رمزية يؤدونها بصورة غير منتظمة [14]. ومع قيام الدولة العلوية، تجدد الولاء والإقرار بمشروعية تبعية السودان للعرش المغربي، التي امتدت حتى نهاية القرن التاسع عشر، وقد تجلت تلك التبعية في إقامة الباشوات لخطبة الجمعة بمساجد تنبكت باسم العاهل المغربي [15]، أو في إرسال السلاطين المغاربة مبعوثين لهم لتلقي البيعة من الرماة كما حدث في

عهد المولى الرشيد [16]، أو توصلهم - كما فعل عبد الله بن إسماعيل - بالإتاوة التي اعتادت تنبكت تقديمها للمخزن المغربي، واستمرار تصريح بعضهم - مثل محمد بن عبد الله - في مراسلاتهم مع الأوربيين بتبعية "بلاد السودان" لنفوذهم وسلطتهم من خلال العبارة التالية :" سلطان مراكش وفاس وسوس الأقصى كاو غينيا..."[17]، أو من خلال تبادل الرأي بين السلاطين المغاربة وبعض أمراء بلاد السودان خاصة من اشتهر منهم بالعدل بخصوص بعض النقط الهامة في الحياة الدينية والدنيوية، كمحاربة البدع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، كما حصل بين المولى سليمان والشيخ عثمان بن فودي من خلال المراسلة التي تمت بين الطرفين والتي بارك فيها الأول أعمال الثاني الجهادية والإصلاحية [18]، أو من خلال طلب النجدة الذي تقدم به سكان تنبكت إلى السلطان الحسن الأول باعتبارهم رعاياه، على إثر تعرض بلادهم للمد الإستعماري الفرنسي سنة 1894م، لكنهم سرعان ما فقدوا كل أمل في الحصول على دعمه، لكون العلماء أصدروا فتوى جردته من كل التزام معنوي تجاههم ، مبررين موقفهم هذا باختلاف موازيـن القوى بين الطرفين المغربي والفرنسي[19]، وإذا كانت هذه بعض السمات والمظاهر التي طبعت العلاقات السياسية بين المغـرب والسودان الغربي خلال فترات تاريخية معينة إلى حدود القرن التاسع عشر، فما هو دور التجارة العابرة للصحراء في التفاعل الحضاري الذي تم بين المغرب وبلاد السودان؟ وما هي العوامل التي ساعدت على حدوث ذلك التواصل؟ .

لا شك أن علاقات التواصل التي تمت بين المغرب والسودان الغربي خصوصا في المجال التجاري لها جذور ضاربة في أعماق التاريخ [20]، وقد مرت هذه الصلات من مراحل مختلفة تميزت كل منها بخصائص وسمات معينة، وبالنسبة للقرن التاسع عشر فإن العلاقات التجارية بين الجانبين تميزت ببداية تراجع تدريجي لاستغناء أوربا عن دور المغرب كوسيط بينها وبين إفريقيا على إثر تحول الطرق التجارية من البر نحو البحر [21] لكن رغم تراجع حركة التبادل التجاري هذه، فإن الطابع الذي ظل غالبا عليها بين طرفي الصحراء طيلة هذه المدة هو طابع الإستمرارية [22].

ومن العوامل التي ساعدت على جعل المغرب يضطلع بهذا الدور الحاسم:

- ارتباط الجنوب المغربي من حيث التكوين الجيولوجي بالقاعدة الإفريقية القديمة فهوجزء من الدرع الإفريقي، مما يدل على تجذر الأصول الجيولوجية للمغرب الإفريقي[23].

- موقعه الجغرافي المتميز، إذ أصبح بحكم توفره على واجهتين، إحداهما بحرية والأخرى محيطية، وقربه من أوربا، واندماجه في القارة الإفريقية [24] بانفتاحه على الصحراء وبلاد السودان[25] عن طريق مجموعة من الواحات الممتدة على طول جبل باني وأودية درعة وزيز وكير ...،[26] كأداة وصل ضرورية بين إفريقيا الغربية

ودول حـوض البحر الأبيض المتوسط، وبوابة أساسية للتجارة عبر الصحراء[27]، ونقطة عبور وتلاقح لخلاصات عدد من التجارب الإنسانية.

- وإذا كان انتصاب جبال الأطلس من المحيط إلى وادي زيز قد شكل حاجزا أمام المواصلات نحو الجنوب، فإن وجود ممرات تخترق الكتلة الجبلية جعل من انتقال الأشخاص والسلع بين واجهتي الأطلس أمرا ممكنا[28].

- شكل التضاريس المغربية العام - ذات اتجاه جنوبي غربي وشمالي شرقي- سمـح للقوافل التجارية بالإستفادة من قصر المسافات الفاصلة بين المنطقتين شبه الصحراوية والساحلية [29].

- علو جبال الأطلس وعامل القرب من المحيط الأطلسي، سمحا بوجود ظروف مناخية معتدلة نسبيا على طول المحور الغربي استفادت منها على الخصوص القوافل التجارية التي كانت تعتمد في عبورها للصحراء على هذا المحور [30].

- معطيات اقتصادية متكاملة، حيث ارتكز التبادل التجاري بين المغرب وبلاد السودان عبر الصحراء، على تكامل من حيث الموارد والمعطيات الإقتصادية - والبشرية - بين المناطق الثلاث [31].

- دخول الجمل واستعماله في الصحراء ابتداء من القرن الثالث الميلادي [32] شكل حدثا تاريخيا هاما وجسرا إيكولوجيا أدى إلى قلب الأوضاع وتغيير ظروف العيش بها بحكم الآفاق الجديدة والإمكانات المتعددة التي خولها للإنسان [33]، ولقدرته الفائقة عـلى التكيف مع الظروف والمعطيات المناخية بالصحراء، مما ساعد على تجاوز العوائق والصعوبات الناجمة عن قساوة الظروف الطبيعية، والتحام المغرب وبلاد السودان [34] وتعزيز التبادل التجاري بينهما، هذا بالإضافة إلى الإمكانات المتعددة التي خولها للإنسان إذ إلى جانب استعماله كمطية، شكل وسيلة ناجعة للترحال ونقل أعباء ثقيلة - من 125 إلى 150كلغ - وممارسة النشاط التجاري وخوض غمارا لحرب، لاسيما وأنه قادر على تحمل التعب والعطش لعدة أسابيع [35]، كما أنه حيوان وديع وطيع، يزود سيده بلحمـه ولبنه [36]، وقد استمد الجمل هذه الخصائص كلها من تكوينه الفيزيولوجي الذي جعله يتميز عن سائر المجترات بعدة مميزات [37]، وبذلك يتضح، أنه شكل ظاهرة حضارية وثقافيـة لها قيمة كبرى لدى أفراد المجتمع الصحراوي التي ارتبطت به ارتباطا وثيقا.

- الدور الذي لعبته المراكز التجارية - شمال وجنوب الصحراء- التي لم تكن فقط نقطا ومحطات لاستراحة وتوقف قوافل التجارة العابرة للصحراء[38]، بل شكلت مراكز لإبرام صفقات تجارية هامة [39]، ومناطق عبور نحو أشكال وبنيات اجتماعية جديدة[40] ونوافذ ظلت منفتحة بلستمرار على الصحراء [41]، تفاوتت أهميتها حسب موقعها ومـدى توفر شروط الأمن بالمسالك التي ربطتها ببلاد السودان.

- المكانة المتميزة التي احتلتها الطرق التجارية العابرة للصحراء في العلاقـات التجارية التي تمت بين المغرب والسودان الغربي، لاسيما وأنها شكلت

الروابط الأولى التي جمعت بين إفريقيا والعالم الخارجي، والرئة التي ظلت تتنفس بها في إطار انفتاحها عليه.[42]

- التشابه من حيث المعطيات البشرية بين المجال الطبيعي - لاسيما بالمحور الغربي- الذي اعتمدت عليه القوافل التجارية في عبورها نحو الجنوب مع نظيره في الشمال، حيث تميز بوجود قاعدة صنهاجية مع تأثيرات عربية واضحة، الأمر الذي ساعد على وجود وحدة عرقية امتدت من الأطلس إلى منطقة الساحل انضافت إلى الوحدة الدينية التي أقيمت منذ العهد المرابطي والمتمثلة في وجود إسلام مالكي.[43]

- الدور الهام الذي لعبته مختلف المؤسسات الإجتماعية، من تحالفات قبلية،[44] وعلاقات جينيالوجية، وزوايا دينية ...، حيث ساهمت في التخفيف من حدة الإنقسامات البشرية والمجالية، وترسيخ الروابط بين واجهتي الصحراء، كالدور الذي لعبه اللف الذي ضم وحدات سوسيو- سياسية مختلفة، وشكل في نفس الوقت تحالفا عسكريا وشبكة للتبادل التجاري ساعدت على قيام علاقات اقتصادية مختلفة ومتنوعة بين المناطق والقبائل المكونة لها.[45]

- حضور البعد الديني في هذه العلاقات من خلال الأدوار المختلفة التي اضطلع بها بعض الأفراد، كالأولياء الصالحين، وبعض الجماعات كالزوايا،[46] التي طرحت نفسها كبديل لسلطة المخزن بتوفيرها لظروف الأمن والاستقرار الضرورية للنشاط التجاري والتدخل من أجل التحكيم والبث في النزاعات التي غالبا ما كانت تنشب بين القبائل والإشراف على إبرام اتفاقيات صلح بينها، وكذا حماية وقيادة القوافل التجارية وتزويدها بالدواب الضرورية.[47]

- كما لعب أرباب الإبل الذين غالبا ما كانوا يتكتلون في إطار اتحاديات [48] دورا مماثلا لدور الزوايا، إذ مقابل حصولهم على واجبات المرور، حرصوا على حماية التجار أثناء عبورهم لمجال نفوذهم، كما وفروا لهم وسائل النقل الضرورية كلما دعت الضرورة إلى ذلك.[49]

- هذا بالإضافة إلى حرص كل من المخزن المغربي والحكام السودانيين على توفير ظروف الأمن الضرورية للقوافل التجارية على طول المسالك العابرة للصحراء لكون التجارة الصحراوية شكلت في الواقع دعامة من دعائمهما الأساسية، ومصدرا من مصادر قوتهما.[50]

ومن خلال كل هذا، يتضح أن التجارة الصحراوية شكلت بالفعل إحدى القنوات التي تم عبرها التواصل بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء، وأداة لتمرير العناصر الثقافية المختلفة بين الطرفين [51]، إذ لم تساهم مسالك التجارة العابرة للصحراء في نقل المواد التجارية فحسب، بل ساعدت على نقل القيم والأفكار الثقافية [52] وإثرائها وحدوث تمازج على المستوى الثقافي بين البلدين [53]، بل أبعد من ذلك كان هذا النشاط عامل تكامل ووحدة وليس عنصر تفكك وتفرقة بين البلدين [54] مما ساعد على ظهور تراث مغربي - إفريقي مشترك.

وإذا كانت التجارة العابرة للصحراء قد شكلت بالفعل قناة للتفاعل الحضاري بين المغرب وبلاد السودان، فإن هذه المرحلة تميزت كذلك بنسج علاقات ثقافية متينة بين الطرفين لعبت فيها الزوايا ولاسيما منها الطريقتين التيجانية والمختارية الكنتية دورا بالغ الأهمية، فما هي إذن مظاهر هذه الصلات ؟ وما هو دور الزاويتين المذكورتين في ترسيخها؟

في البداية، يمكن أن نؤكد أن أية مقاربة للعلاقات الثقافية التي تمت بين المغرب وبلاد السودان خلال القرن التاسع عشر، لابد أن تتأسس على الخلفية التاريخية الحضارية المشتركة التي يحتل فيها العامل الإسلامي مكانة مهمة وذلك من خلال دراسة الزوايا والطرق الصوفية، وإبراز الدور الفاعل الذي كان لها في التفاعل الثقافي الذي تم بين البلدين لاسيما وأن الفترة كانت حرجة بحكم تراجع قوة العالم العربي الإسلامي، وتعرض القارة السمراء لخطر المد الإستعماري الذي حرص على تنشيط بعثاته التبشيرية للنيل من الإسلام (55)، بل أبعد من ذلك فإن بعض أوساطه اعتبرت الإسلام دخيلا على مجتمعات إفريقيا جنوب الصحراء، فرض من طرف الغزاة والتجار العرب الوافدين من شمال القارة " وأن الإسلام الإفريقي له مميزات وخصائص تجعله يختلف " عن نظيره " في باقي الأقطار العربية الإسلامية " (56)، وفي ظل هذه الظروف الصعبة، قامت الزوايا " بإعلاء كلمة الله ومحاربة المسيحية والوثنية والإستعمار "، وترسيخ أواصر الروابط بين المغرب وبلاد السودان (57)، ومن بين هذه الزوايا التي اضطلعت بهذا الدور الحاسم : الزاوية التيجانية.

انطلق إشعاع هذه الزاوية من المغرب وبالضبط مدينة فاس، ليخترق خلال القرن التاسع عشر الصحراء وبلاد السودان، " مضيفا لبنات جديدة في صرح الصلات والروابط" التي جمعت بين المغرب وبلاد السودان (58)، وتم ذلك على يد الشيخ سيدي أحمد التيجاني أما وصولها إلى بلاد شنقيط ، فكان على يد الشيخ محمد الحافظ العلوي الشنقيطي الذي جعل منها شعارا لقبائل إدا وعلي التي اعتبرت صلة الوصل الأساسية بين فرعي التيجانية بالمغرب والصحراء وما وراءها. (59) ويرجع انتشار هذه الطريقة ببلاد السودان إلى استقرار العلويين بعدة مراكز وببلاد الترارزة، وبلغت أوجها باعتناق الحاج عمر الفوتي التوري لها، مؤسس أول إمبراطورية تيجانية عن طريق الجهاد سنة 1848م، واستمرت إلى استيلاء الفرنسيين عليها سنة 1894م.(60) ويرجع الفضل إلى هذه الطريقة في القضاء على الصراعات القبلية، حيث انصهرت القبائل الإفريقية التي اعتنقتها في بوتقة واحدة تجلت في تعاليم الحضارة الإسلامية، كما ساهمت في نشر الثقافة والحضارة العربية الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء، وشكلت صلة وصل بين مسلمي الشمال والجنوب من خلال تبادل الزيارات والآراء والأفكار.(61)

أما الطريقة الثانية، فهي الطريقة المختارية، وتنتمي عائلة المختار إلى كنتة بتوات وهي من أهم الزوايا التي ساهمت في توطيد العلاقات الثقافية بين المغرب

والسودان الغربي لاسيما على يد الشيخ المختار الكنتي الذي حرص على نشر تعاليمها في المناطق الصحراوية[62]، وخلال القرن التاسع عشر، استقر أحفاد الشيخ المختار بأزواد قرب تنبكت، وتمكنوا من ربط علاقات متينة مع المغرب الذي تعددت به زوايا هذه الطريقة، إذ وجدت بأزمور ومكناس ومراكش ...، وأقام السلاطين المغاربة كعبد الرحمن بن هشام (1822-1859) ومحمد بن عبد الرحمن (1859-1873) علاقات مع المختارية ومختلف القوى السياسية في المنطقة، كأمراء الحوصه، والفولانيين وأمراء ماسينا.[63]

خلاصة:

من خلال كل هذا، يتضح أن المغرب كبلد عربي مسلم ربطته ببلاد السودان منذ القديم ولاسيما خلال القرن التاسع عشر، علاقات متينة ووشائج عميقة، كان لها الفضل في حدوث تراكم وتفاعل حضاري بين الطرفين، وأن هذه الصلات تميزت بالإستمرارية وتمت عبر قنوات مختلفة، شكلت الدبلوماسية والتجارة العابرة للصحراء وكذا الطرق الدينية أهم عناصرها، وهذا التراث المغربي - الإفريقي المشترك يبقى بحق خير نموذج للعلاقات العربية - الإفريقية التي ظلت قائمة على مر العصور، والتي يمكن القول أن الوقت قد حان لتفعيلها واستثمارها، لمواجهة التحديات الكبرى التي يصادفها كل من العالمين العربي والإفريقي.

الهوامش:

1)- زكريا قاسم (جمال) ، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية . القاهرة ، 1975 ، ص.3.

2-DELACHAPELLE, (F) : « Esquisse d'une histoire du Sahara Occidental.» Hespéris, A.B.I.H.E.M , Année 1930, T XI, Librairie Larose, Paris, p.36.

3)- العروي (عبد الله) ، علاقات المغرب بإفريقيا ملاحظات أولية. مجلة دراسات، ك.ا.ع.إ،جامعة ابن زهر، أكادير، مطبعة النجاح الجديدة ، عدد 2، الدار البيضاء 1988 ، ص..16.

4- HUNWICK, (J) : « les rapports intellectuels entre le Maroc et l'Afrique subsaharienne à travers les âges. », I.E.A, Rabat, séries conférences (2), 1990, p.7.

5-ZAKARI D.ISSIFOU : L'Afrique noire dans les relations Internationales aux XVIs, Analyse de la crise entre le Maroc et Sonrhaï, Edition Karthala, Paris, 1982 p.8.

6)- السعدي (عبد الرحمن) ، تاريخ السودان، تحقيق هوداس و بنوة ، مكتبة أمريكا والشرق ، باريس 1981، ص.ص. 57.-51-21

7-Mauny, (R) : les siècles obscurs de l'Afrique noire, Fayard, Paris , 1970.p. 61.

8)- بناني (لطيفة سميرس)، العلاقات المغربية السودانية في سياسة الأسر الحاكمة بالمغرب من القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر . م.ك.ا.ع.إ، فاس، عدد 5 ، 1989، ص.155.

9)- القاسمي (هاشم العلوي)، " أصول الروابط التاريخية بين المغرب وغرب إفريقيا في العصور الوسطى، استحضار أو استشراف ". ك.ا.ع.إ، فاس، عدد خاص، 1989، ص. 141.

10)- بناني (لطيفة سميرس) ، م.س ، ص..156.

11)- طموح (فاطمة الزهراء) ، إفريقيا والمغرب، معلمة المغرب، عدد2 ، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، نشر مطابع سلا ، 1989، ص. 556.

12)- ن.م.ص. وبناني (لطيفة سميرس) ، م.س،ص. 162.

Hunwick, (J): op.cit., p.14. —(13

على عكس ما ذهب إليه هذا الباحث، ترى بعض الدراسات الأخرى أن الإحتلال أو الوجود المغربي بالسودان لقي معارضة من طرف السكان واقتصر فقط على المدن التي وجدت بها حاميا ت عسكرية مثل تنبكت، وكاو، وجني ...، وأن تاريخ هذا الإحتلال كان في الواقع عبارة عن سلسلة من الإقالات والإعتقالات والإغتيالات في صفوف الباشوات إلى درجة أن عدد الذين تعا قبوا على الحكم ما بين 1590و1833 بلغ 167باشا أي بمعدل باشا إلى إثنين كل سنة

Konaré, Adam.BA : « les relations politiques et culturelles entre le Maroc Et le Mali à travers les âges. ». Univ. Med V, .I.E.A, Rabat, séries conférences (3) , 1991, p.22.

(14 -IROKO, (F) : la politique marocaine au Soudan XVI- XVII s
Mémoire de maîtrise d'histoire africaine sous la direction de R. Mauny, Sorbonne, Paris, 1970-71, pp.84-92.

15)- ورد ذلك على لسان السفير الإنجليزي بالمغرب ج- ما ترا، أنظر :
ABITBOL, (M) : Tombouctou au milieu du XVIII s d' après La chronique de Mawlay Sulayman. G.P .Maison Neuve et Larose, Paris, 1982, p.224.

16)- مجهول ، تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان، تحقيق هوداس، باريس، 1901، ص.158

17)- بناني (لطيفة سميرس) ، م.س، ص.ص. 159 - 160 . و224 ABITBOL, (M) : op. cit., p.

18)- الصادقي (حسن) ، مخطوطات علماء إفريقيا مصدرا لعهد المولى سليمان.
أعمال الدورة الرابعة لجامعة مولاي علي الشريف الخريفية، مركز الدراسات والبحوث العلوية، الريصاني، دجنبر 1992 ، ص.ص.60-61.

TAMOUH, (F.Z) : le Maroc et le Soudan au XIXe (1830- 1894) -(19
Contribution à une histoire inter régionale de l'Afrique, thèse en vue du doctorat de 3ème cycle, Sorbonne, Paris, 1982, p.6.

و المنوني (محمد) ، العلاقات المغربية الإفريقية من خلال مجموعة وثائق في خزانة عـلال الفاسي ، م.ك.ا.ع.إ، الرباط، عدد15، 1989 - 1990، ص.ص.35-36 .

20)- يرى جون هونويك أن هناك مؤشرات حقيقية تدل على تجارة عابرة للصحراء شارك فيها مغاربة، (Hunwick ,(J) : op . cit ., p. 8)

وأبعد من ذلك يرى آدم با كوناري أن هذه العلاقات التجارية تعود إلى القرن الأول لما قبل التاريخ، حيث ساعد طريق العربات الغربي على ربط منطقة سوس (الجنوب المغربي) بثنية النيجر .
(Konaré, (A.BA) : op.cit., p.8.)

21)- طموح (فاطمة الزهراء)، م.س، ص..557

22)- ن.م. ص. و.IROKO, A. Félix : op. cit. p.98

23)- عمران (أنس) و الفلاح (بوشتى)، البنية ومظاهر السطح بالجنوب المغربي (مجال الدرع الإفريقي) ، المناهل، عدد 58، مارس 1998، ص.ص.440-455.

-(24 IROKO, A. Félix : « Motivations psychologiques et religieuses de la Conquête de Gao en 1591, AFRICA ZAMANI, R.H.A. n° 14 et 15, p.50.

ABITBOL, (M) : Tombouctou et les Arma de la conquête marocaine -(25
du Soudan Nigérien en 1591 à l'hégémonie de l'Empire Peulh du Macina en 1833. Edition Maison neuve, Paris, 1979, p. 23.

ABITBOL, (M) : le Maroc et le commerce transsaharien du XVII s -(26
Au début du XIX s. R.O.M.M. publiée avec le concours du C.N.R.S.et des universités d'Aix Marseille n° 30, 2 ème Semestre 1980, Aix en Provence, p.6.

27)- العروي (عبد الله) ، م.س ، ص.10.

(28- ABITBOL, (M): T et les Arma, p.24.

(29 -ABITBOL, (M): le Maroc et le commerce transsaharien, p. 6.

(30-Ibid

31)- العلوي (عبد العزيز) ، فاس والتجارة الصحراوية قبل الحملة السعدية على إمبراطورية سنغاي (فرضيات ووقائع) . أعمال الندوة الدولية حول فاس وإفريقيا العلاقات الإقتصادية والثقافية والروحية . منشورات معهد الدراسات

الإفريقية، الرباط س.ن.م.3 و كلية الآداب و العلوم الإنسانية، سايس - فاس ، 28-30 أكتوبر 1993، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1996، ها مش 119، ص. 102.

32)- اختلف الباحثون حول تاريخ دخول و استعمال الجمل في الصحراء ، فالبعض منهم يرى أنه تم خلال القرن الثالث الميلادي (أنظر عبد العزيز بن عبد الله ، تاريخ الحضارة المغربية ، دار السلمى، الدار البيضاء، 1962، ج1، ص.14. وكذا عبد الرحيم عدناوي"الجذور التاريخية للعلاقات المغربية"، أبحاث، عدد 24-25 ، السنة الخامسة ربيع1990، أكدال، الرباط، ص.ص.124-125.) و البعض الآخر يرى أن ذلك تم خلال القرن الرابع الميلادي (طموح (فاطمة الزهراء)، أكبا ر، معلمة المغرب، ج2 ، ص. 598.) وانه قبل ظهور هذا الحيوان ، فقد كان من الممكن التنقل عبر الصحراء اعتمادا على الفرس الذي تم جلبه من آسيا إلى إفريقيا الشمالية منذ حوالي 2000 ق.م.

AJAYI, J. Fade et CROWDER, (M) : le commerce transsaharien du III à la fin du XIX s. Atlas historique, les éditions du Jaguar, Paris, 1988,

(33- p. 54.) DELACHAPELLE, (F) : op. cit. p.41.

34)- طموح (فاطمة الزهراء)، أكبار، المعلمة، ج2، ج.م.ت.ت، نشر مطابع سلا، 1989، ص..598

35)- في هذا الإطار، يشير إبراهيم حركات- اعتمادا على الحسن الوزان- إلى أن الجمال الإفريقية كانت أفضل من نظيرتها الآسيوية، لأنها تتحمل "الأثقال والجهد مدة أربعين أو خمسين يوما من غير حاجة قصوى إلى الأكل، فهي تقتات بعد وضع أثقالها من الحشيش والشوك وبعض الأغصان" (حركات (إبراهيم) ، السياسة والمجتمع في العصر السعدي، نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1987، ص.282.

-(36 DELACHAPELLE, (F), op.cit., p.41.et Lemprière, (W) : Voyage dans l'empire du Maroc et le Royaume de Fez (1790- 1791), Traduction de l'anglais par M de Sainte Suzanne, PARIS travernier, 1801, p. 203. et EL ALAOUI, (A) : le Maghreb et le commerce transsaharien du (milieu du XI-milieu du XIVs) contribution à l'histoire économique sociale et politique du Maroc Médiéval. Thèse en vue du doctorat du 3ème cycle, Bordeaux, 1983, p.63.

و بحكم هذه الأهمية التي اكتساها هذا الحيوان ، فقد اعتبر من طرف بعض الباحثين- من بينهم كوتيي- بمثابة ثورة اقتصادية يمكن مقارنتها بدون مبالغة بالسكك الحديدية والسيارة والطائرة (العلوي حسن حافظي)، سجلماسة و إقليمها في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، مسا همة في دراسة مجتمع الواحات في العصر الوسيط، مطبعة فضالة، المحمدية ، 1417 ه /1997 م ، ص. 343.).

37)- نذكر من بينها توفر معدته على عدد لا يحصى من الخلايا الصغيرة، التي تشكل خزانات للماء يستغلها عند الحاجة وتسمح له بتحمل العطش لمدة خمسة إلى ستة أيام كما أن هذا الحيوان قادر على تحمل الجوع لمدة طويلة بفضل سعة معدته وقدرتها على استيعاب كمية كافية من الغذاء لعدة أيام. Lemprière, (w) : op. cit. p.203.) IROKO (F) :

(38- la politique marocaine au Soudan XVI-XVIIs, p.17.)

(39- LABOURET, (H) : l'Afrique précoloniale.

Que sais –je ? n°241, presse universitaire de France, Paris, 1959, p.42. ABITBOL, (M) : -

(40 - « le Maroc et le commerce transsaharien… », p.8.

(41 -DELACHAPELLE, (F): op.cit., p.36.

(42- KI – ZERBO, (J) : Histoire de l'Afrique Noire d'hier à demain. Librairie A.Hatier, Paris, 1978, pp.165-168.

(43- ABITBOL,(M): « le Maroc et le commerce transsaharien », p.6.

44)- كاتحادية آيت يفلمان وآيت عطا اللتين تقاسمتا النفوذ بالجنوب الشرقي المغربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر.

Mezzine, (L): le Tafilalt : Contribution à l'histoire du Maroc aux XVII et XVIIIs,
P. .F.L.S. H., Rabat , séries thèses, 1995, p. 27.)

وتكتل قبائل تكنة في إطار اتحادية تكونت من اثني عشر قبيلة ولفين (ناعمي (مصطفى)، الصحراء من خلال بلاد تكنة، منشورات عكاظ، الرباط، 1988، ص.ص.127-129.) ولمزيد من التفاصيل أنظر أطروحتنا التي نوقشت برحاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط بتاريخ 2003/7/1 في موضوع: المغرب والتجارة العابرة للصحراء من القرن القرن م XV إلى XVI م، إسهام في دراسة تاريخ المغرب وعلاقاته التجارية مع السودان الغربي في العصر الحديث، تحت إشراف مصطفى ناعمي وزهرة طموح ، ص. 194.

(45- ABITBOL, (M): Tombouctou et les Arma, p.25 « Le Maroc et le commerce transsaharien… », p.6.

في هذا الإطار، يذكر ميشال أبيطبول نموذج لف إكزولن الذي شكل العمود الفقري لإمارة تازروالت خلال القرن السابع عشر ، وامتدت جذوره من الأطلس الصغير إلى الساقية الحمراء مرورا ببلاد آيت با عمران بايفني وبلاد تكنة بوادي الذهب

ABITBOL, (M) : « le Maroc et le commerce transsaharien… », p.6. Tombouctou et les Arma, p.25.

(46 - ABITBOL, (M) : le Maroc et le commerce transsaharien p.7

من الزوايا التي لعبت دورا بالغ الأهمية في هذا المجال، زاوية كنتة الأزواد في منطقة الحوض ، وزاوية تجكانت على طول المحيط الأطلسي (أنظر: .ABITBOL, (M): op.cit. p.7

وزوايا أخرى كالناصرية والتيجانية(طموح فاطمة الزهراء) أكبار، المعلمة ج2، ص.600.

(47-ABITBOL, (M) Tombouctou et les Arma. P.190.Le Maroc et le commerce transsaharien, p.7.

يورد أبيطبول كنموذج لهذا الدور الذي اضطلع به شيوخ الزوايا، حالة الشيخ المختار الكبيرالذي كان بمثابة الزعيم الروحي وقائد الأنشطة التجارية المختلفة لمعظم قبائل المور والطوارق بالأزواد ولاسيما منها برابيش بوجبيهة وأروان

(48- ABITBOL(M.) : T et les A .p.190.) DELACHAPELLE , (F) : op.cit., p.43.

(49 - LABOURET (H): op. Cit., p.42.

(50- ABITBOL, (M) : « le Maroc et le commerce transsaharien … ».
p.8. et IROKO, (F) : op. cit., p.17.

51)- زبادية (عبد القادر) ، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين (1493 – 1591) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ص.137.)

ZAKARI, D.ISSIFOU : « les XIV et XVs dans les relations entre l'Afrique, Soudan occidental et la méditerranée » , C.I.A.C.I.R.S , Paris.

52- Actes du IVème Colloque euro-africain sur l' histoire du Sahara et des relations transsahariennes entre le Maghreb et l'ouest africain du Moyen-Age à la fin de l'époque coloniale Erfoud (Maroc), 20-25 Octobre 1985.GruppoWalk over.Bergamo- Italia 1986,p. 134.

53)- بن شريفة (محمد) ، بين أحمد باب وأحمد المنصور ، المغرب و إفريقيا جنوب الصحراء في بدايات العصر الحديث ، ص.65.

(54 - ABITBOL , (M) : Tet les A , p.185.

55)- الأزمي (أحمد)، دور الزاوية التجانية في تمتين الروابط بين مدينة فاس وإفريقيا جنوب الصحراء ، فاس وإفريقيا العلاقات الإقتصادية والثقافية والروحية ، ص.242

56)- صابر شريف (خالد)، دور مدينة فاس في نشر الطريقة التيجانية في إفريقيا جنوب الصحراء فاس وإفريقيا العلاقات الإقتصادية و الثقافية والروحية ، ص.236.

57)- الأزمي (أحمد) ، م. س، ص.242.

58)- نفسه، ص.246.

59)- نفسه، و طموح (فاطمة الزهراء)، إفريقيا و المغرب، ص.557

60)- نفسه.

61)- صابر شريف (خالد)، م.س، ص..239

62)- طموح (فاطمة الزهراء)، م.س، ص..557

63)- نفسه